بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 55 الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق

الدرس: تفسير القرآن الكريم المبحث: سورة الإنسان

التاريخ:25\10\2023 م كتبه: عبدالله ضيف الستري

ما زال البحث في قوله تبارك وتعالى: ﴿عَيْناً فيها تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً﴾.

شرحنا المقصود من مفردة سلسبيل، بقي هناك مجموعة من الأمور التي ينبغي نقف عندها:

الأمر الأول: أن هذه الكلمة -كلمة سلسبيل- هي في الواقع ينبغي أن تكون ممنوعة من الصرف، فإذا كانت ممنوعة من الصرف فيترك فيها التنوين، وهذه الألف الموجودة في سلسبيل هي الألف التي يلحقها التنوين، فينبغي أن تكون هذه الكلمة من دون ألف، لماذا صرفت؟

الجواب عن ذلك: واضح، حيث ذكر علماء النحاة في الشعر وفي النصر الذي يأتي على طريقة الشعر في كونه مسجعاً وتتلاءم فيه المقاطع، ففي كثير من الأحيان يدخلون بعض الحروف وإن لم تكن من أصل الكلمة حتى تتوافق الفواصل، مثلاً في سورة الأحزاب: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾[1] الظنون مع الألف، مع أن الظنون المعرفة بالألف واللام لا تدخل في آخرها الألف.

سلسبيل من هذا القبيل؛ لأنها وقعت في فاصل الآية، في نهاية الآية، وقبلها يوجد -في الآية السابقة- كلمة ﴿زَنْجَبِيلا﴾ وبعدها يوجد ﴿لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً﴾ فناسب حينئذ أن نلحق معها ألف الإطلاق وليست الألف التي يلحقها التنوين، وهذا شائع في اللغة العربية، وفي القرآن الكريم كما ذكرنا في سورة الأحزاب، وكذلك في سورة الأحزاب ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾[2] بالألف، بل في بعض الأحيان تضاف هاء السكت لأجل تطابق الآيات، كما في قوله تعالى في سورة القارعة: ﴿وَما أَدْراكَ ما هِيَه﴾[3] معها هاء السكت لأجل تطابق الآيات السابقة واللاحقة، وليست من أصل الكلمة. فهذا شائع في اللغة العربية.

---

[1] الأحزاب: 10
[2] الأحزاب: 67
[3] القارعة: 10

الأمر الثاني: في محل كلمة ﴿عَيْناً﴾

بالتتبع في كلمات علماء اللغة نرى أنه يوجد ثلاثة وجوه بل أربعة[4]:

الوجه الأول: أنها بدل من زنجبيل، فيكون المعنى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فيها كَأْساً كانَ مِزاجُها زَنْجَبيلاً﴾ أي ويسقون فيها كأساً كان مزاجها عيناً؛ لأنها بدل من زنجبيل، ونعرف أن العامل في التابع هو العامل في المتبوع.

الوجه الثاني: هذه الكلمة بدل من كأساً، ﴿وَيُسْقَوْنَ فيها كَأْساً﴾ ويسقون فيها عيناً.

إذا دار الأمر بين هذين الوجهين، وفرغنا عن البدلية، رُبَما يكون الوجه الثاني هو الأرجح؛ لأنه هناك معنى لأن تقول ويسقون فيها عيناً، أي في الجنة يسقون عيناً، أي من عين. أما أن نقول ويسقون فيها كأساً كان مزاجها عيناً، فالعين تكون مشتملة على الماء، فلا معنى أن نقول كان مزاجها عين. فلو دار الأمر بين هذين الوجهين كان الوجه الثاني هو المتعين.

الوجه الثالث: المعروف أيضاً بين علماء التفسير، أن ننصب كلمة عيناً على الاختصاص، والنسق على الاختصاص يقتضي تقدير فعل، فتقول: ﴿وَيُسْقَوْنَ فيها كَأْساً كانَ مِزاجُها زَنْجَبيلاً﴾ أعني عيناً أو أذكر عيناً أو أخص عيناً وما شابه ذلك من التقديرات.

بعض علماء التفسير، هناك تفسير لسورة الدهر، تفسير عرفاني، على الرغم من أنه تفسير عرفاني لكنه يتعرض لبعض القواعد الأدبية، يقول: هذه الوجوه الثلاثة بتمامها تقتضي عدم الاستقلالية سواء حملنا عيناً على البدلية أو نصبناها على الاختصاص، النتيجة التابع والمفسر يكون مكملاً للمتبوع وللمفصل، ولا يوجد استقلالية.

فإذا كان الأمر كذلك يقول لا يصح المعنى؛ لأن الأصل في كل كلمة تأتي في كلام أن تكون بإفادة معنى جديد، ولذا هو يدعي أن الأصل هو التباين لا الترادف، لو حملنا على البدلية يكون هناك ترادف إما العين ترادف الكأس وإما العين ترادف الزنجبيل، أو العين ترادف أيضاً أحدهما لكن من خلال

[4] هناك من تفرد بإضافة وجه رابع، لم أجد هذا الوجه عند غيره. وترقيت في هذا الوجه الرابع لأنه لم يذكره أحد من المفسرين.

التفسير إذا نصبنا على الاختصاص، فيكون هذا ترادف، والأصل في كل كلمة تأتي أن يكون لها دلالة مستقلة عن الكلمة الأخرى.

فلذا يقول: بما أن التباين أولى من الترادف، فلا بد أن نحمل الكأس على أنه منصوب بنزع الخافض، والتقدير من كأس من عين، يسقون فيها كأساً أي من كأس، وأيضاً كأس منصوب بنزع الخافض، يسقون من كأس هذا الكأس يملأ من عين، كل واحد له استقلالية وله معنى مستقل عن الآخر.

ثم بيّن أن المقصود من الكأس هو العقل العاشر من العقول العشرة، وهذا أخرجنا حينئذ عن التفسير، ولا معنى للدخول في هذا البحث.

في الواقع هذا الوجه الرابع مع قطع النظر عن هذا التوجيه الذي حمله على أن هذا العين هي منبع الفيض، ولذا حملها على العقل العاشر، وأن هذا هل يتناسب مع التفسير أو هو بحث آخر؟ هذا الوجه الرابع ليس وجهاً مستقلاً؛ لأنه حتى لو قلنا بالبدلية، وأن كلمة عيناً بدل من كلمة كأس، فإذا رجعنا إلى كأس، وكانت كأس منصوبة بنزع الخافض، فالعامل في البدل هو العامل في المبدل منه، غاية الأمر لا نحملها على بدل كل من كل، لم ندع أنه إلا لابد أن يكون بدل كل من كل حتى يكون بينهما ترادف، هذه الكأس تملأ منه تلك العين. فإذاً هؤلاء الأبرار يسقون من كأس، تركيبة هذا الكأس من شراب مع زنجبيل، لكن هذا يؤخذ من عين، وهذه العين تسمى سلسبيلا. فهذا المعنى نقبله، ولكن لا يكون وجهاً مستقلاً في قبال سائر الوجوه.

الأمر الثالث: رجوع إلى كلمة السلسبيل.

هذه الكلمة عرفنا أن علماء التفسير حملوها على المعنى الاشتقاقي المأخوذ من السلاسة في مقابل طعم الزنجبيل، ولم يبالوا بكون السلسبيل اسماً للعين؛ لأن الأسماء والأعلام قد تكون مرتجلة وقد تكون منقولة، فسلسبيل علم، ولكنه من الأعلام المنقولة، والأعلام المنقولة يلاحظ فيها المعنى الاشتقاقي، فحينئذ لا منافاة بين هذا المعنى وبين كونها علم.

هناك رأي في سلسبيل آخر نسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وأن هذه سلسبيل مركبة من سلّ سبيلاً، سلّ أي اتخذ، فيقول: هذه العين وهذا التنعيم لمن اتخذ سبيلاً إلى هذا الأمر من خلال عمله.

لكن هذا المعنى مع عدم كونه مسنداً بدليل معتبر إلى أمير المؤمنين عليه السلام يتنافى مع التسمية، يسمى سلسبيلا. البعض التفت إلى ذلك فأراد أن يوجه كلام أمير المؤمنين عليه السلام على تقدير صحة النسبة، أن هذا من باب تأبط شراً، كما أن العرب تسمي بعض الأسماء بجملة فعلية، فحينئذ تصلح لأن تكون علماً، وبما أنها منقولة تتضمن المعنى الاشتقاقي، فيكون أن التسمية والعلم الموضوع لهذه العين هو جملة فعلية، اسمها سلّ سبيلاً.

طبعاً هذا الوجه لا دليل معتبر عليه، وخلاف ظاهر الآية المباركة، وبهذا يتم الكلام في البحث في الآية الثامنة عشر.